

ثم يفسر الفجر بأنه جنس ذلك الوقت المعروف الذي يظهر فيه بياض النهار في جلد الليل، وينبعث الضياء لمطاردة الظلام. ويفسر الليالي العشر بالليالي العشر الأول من كل شهر، وهي الليالي التي يستدئ فيها تكون الهلال، ولا يزال يشق الظلام إلى أن يغلبه فينشر نوره على الأفق، فكأنه وضع التناسب على شيء من التقابل، فضوء الصباح يهزم ظلمة الليل، وضوء الأهلة يغالب الظلام إلى أن يغلبه فيسدل على الكون حجبه.

والوحدة في منهج السور القرآنية تتميز عن الوحدة الفنية في الإنتاج الأدبي للإنسان، فالقصة مثلاً، لها قواعد فنية تحكم تأليفها مثل العقدة والصراع والمأرق والحل.

ولكن القرآن الكريم كتاب هداية، قد يكتفي من ذكر القصة أو الحادثة بما يحقق هذه الهداية، وأحياناً يبسط الموضوع وأحياناً يوجزه حسب مقتضى الحال.

وأحياناً يترك الموضوع ويتكلم عن شيء مناسب أو مجانس، ثم يرجع إلى الموضوع الأول أو ينتقل إلى غيره، وهذا مسلوك لو اتبعه بشر لكان تأليفه تافهاً ساقطاً، ولكن القرآن كتاب الله وهو على كل شيء قدير. ومن قدرته أنه يؤلف بين الأجناس المختلفة، فترى بينها نهاية التضام والالتحام. وكل امرئ يستطيع أن يجرب نفسه حين يطول به الوقوف أمام منظر واحد جميل، هل يجد لديه من هزة الاستحسان في هذا الاستمرار ما يجده لو اعترض سلسلة من المناظر الرائعة، قد صفت فيها ضروب الفوائد والمتع، ثم جعلت تمر في أبداع تنسيق وأحسن تقويم؟ اللهم لا فذلك كذلك<sup>(١)</sup>.

ويميل الأستاذ الإمام إلى أن فكرة السورة يجب أن تكون أساساً في فهم آياتها، والموضوع يجب أن يكون أساساً في فهم الآيات التي نزلت فيه، وكان هذا من أسباب رفضه كل تفسير لا يحقق التماسق والتوافق بين أجزاء السورة<sup>(٢)</sup>.

وتأثر به في ذلك أساتذة التفسير في العصر الحديث كالسيد الأستاذ رشيد رضا،

(١) د. محمد عبد الله دراز، النا العظيم: ص ١٦٢ حاشية.

(٢) انظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ (آل عمران: ٣٧) تفسير المنار، ٢٩٣/٣.